@ 37 @ النفوس قد تشح بذلك فمن فعله فقد أحسن ، ومن تركه فلا حرج ) . وتقدم تفسير القسطاس في سورة الإسراء . وقال الزمخشري : إن كان من القسط ، وهو العدل ، وجعلت الغين مكررة ، فوزنه فعلاء ، وإلا فهو رباعي . انتهى . ولو تكرر ما يماثل العين في النطق ، لم يكن عند البصريين إلا رباعياً . وقال ابن عطية : هو مبالغة من القسط . انتهى . والظاهر أن قوله : { وَزِنُواْ } ، هو أمر بالوزن ، إذ عادل قوله : { أَوْفُواْ الْكَيْلَ } ، فشمل ما يكال وما يوزن مما هو معتاد فيه ذلك . وقال ابن عباس ومجاهد : معناه عدلوا أموركم كلها بميزان العدل الذي جعله ا لعباده . .

{ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ } : الجملة والتي تليها تقدم الكلام عليهما . ولما تقدم أمره عليه السلام إياهم بتقوى ا ، أمرهم ثانياً بتقوى من أوجدهم وأوجد من قبلهم ، تنبيهاً على أن من أوجدهم قادر على أن يعذبهم ويهلكهم . وعطف عليهم { وَالْجِبِلَّةَ } إيذاناً بذلك ، فكأنه قيل : يصيركم إلى ما صار إليه أولوكم ، فاتقوا ا الذي تصيرون إليه . وقرأ الجمهور : والجبلة بكسر الجيم والباء وشد اللام . وقرأ أبو حصين ، والأعمش ، والحسن : بخلاف عنه ، بضمها والشد للام . وقرأ السلمي : والجبلة ، بكسر الجيم وسكون الباء ، وفي نسخة عنه : فتح الجيم وسكون الباء ، وهي من جبلوا على كذا ، أي خلقوا . قيل : وتشديد اللام في القراءتين في بناءين للمبالغة . وعن ابن عباس : الجبلة : عشرة آلاف . { وَمَا أَنتَ } : جاء هنا بالواو ، وفي قصة هود : { مَا أَنتَ } ، بغير واو . فقال الزمخشري : إذا دخلت الواو فقد قصد معنيان ، كلاهما مخالف للرسالة عندهم ، التسخير والبشرية ، وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحراً ، ولا يجوز أن يكون بشراً ، وإذا تركت الواو فلم يقصد إلا معنى واحد ، وهو كونه مسحراً ، ثم قرر بكونه بشراً . انتهى . .

{ وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ } : إن هي المخففة من الثقيلة ، واللام في لمن هي الفارقة ، خلافاً للكوفيين ، فإن عندهم نافية واللام بمعنى إلا ، وتقدم الخلاف في نحو ذلك في قوله : { وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً } في البقرة . ثم طلبوا منه إسقاط كسف ، من السماء عليهم ، وليس له ذلك ، فالمعنى : إن كنت صادقاً ، فادفع الذي أرسلك أن يسقط علينا كسفاً ، أي قطعة ، أو قطعاً على حسب التسكين والتحريك . وقال الزمخشري : وكلاهما جمع كسفة ، نحو : قطع وشذر . وقيل : الكسف والكسفة ، كالريع والريعة ، وهي القطعة وكسفة : قطعة ، والسماء : السحاب أو المظلة . ودل طلبهم ذلك على التصميم على

الجحود والتكذيب . ولما طلبوا منه ما طلبوا ، أحال علم ذلك إلى ا تعالى ، وأنه هو العالم بأعمالكم ، وبما تستوجبون عليها من العقاب ، فهو يعاقبكم بما شاء . .

{ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ } ، وهو نحو مما اقترحوا . ولم يذكر ا كيفية عذاب يوم الظلة ، حتى أن ابن عباس قال : من حدثك ما عذاب يوم الظلة فقد كذب ، وذكر في حديثها تطويلات . فروى أنه حبس عنهم الريح سبعاً ، فابتلوا بحرّ عظيم يأخذ بأنفاسهم ، لا ينفعهم ظل ولا ماء ، فاضطروا إلى أن خرجوا إلى البرية ، فأظلتهم سحابة وجدوا لها برداً ونسيماً ، فاجتمعوا تحتها ، فأمطرت عليهم ناراً فأحرقتهم . وكرر ما كرر في أوائل هذه القصص ، تنبيهاً على أن طريقة الأنبياء واحدة لا اختلاف فيها ، وهي الدعاء إلى توحيد ا وعبادته ورفض ما سواه ، وأنهم ورسول ا صلى ا عليه وسلم ) مشتركون في ذلك ، وأن ما جاء به صلى ا عليه وسلم ) هو ما جاءت به الرسل قبله ، وتلك عادة الأنبياء . .

قال ابن عطية : وجاءت الألفاظ في دعاء كل واحد من هؤلاء الأنبياء واحدة بعينها ، إذ كان الإيمان المدعو إليه معنى واحداً بعينه . وقال الزمخشري : فإن قلت : كيف كرر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر ؟ قلت : كل قصة منها كتنزيل برأسه ، وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها . فكانت كل واحدة منها تدلى بحق ، إلى أن تفتتح بمثل ما افتتحت به صاحبتها ، وأن تختتم بمثل ذلك مما اختتمت به ، ولأن التكرير تقرير للمعاني في النفوس ، وتثبيت لها في الصدور ، ولأن هذه القصص طرقت بهذا آذان ، وقر عن الأنصات للحق ، وقلوب